سلسلة السيرة النبوية الشريفة

دولة الإسلام واكتمال الدين





بَرْدٌ شَديدٌ، ذاكَ الَّذي باتَ النَّبيُّ مُحَمَّدُ (ص) يَشْعُرُ بِهِ بَعْدَ أَنْ رَحَلَ حَبيباهُ عَنْ هذهِ الدُّنْيا، وَمَنْ كانا لَهُ بحقٍّ الْحِصْنَ وَالأَمانَ مِمَا ساقَتْهُ إِلَيْهِ الدُّنْيا مِنْ أَلْوانِ الشَّقاءِ وَالْعَذابِ، خَديجَةُ (ع) وَعَمُّهُ أَبو طالِبٍ. لكِنَّ ثِقَتَهُ باللهِ، وَمَعْرِفَتَهُ بِأَنَّهُ سَيَظَلُّ في عَيْنِ إِلهٍ قادِرٍ عَلى كُلِّ شَيْءٍ، سَميعٍ بَصيرٍ بِكُلِّ ما يَحْدُثُ لَهُ، جَعَلا حُزْنَهُ أَقَلَّ بِكَثيرٍ مِمّا كانَ سَيَشْعُرُ بِهِ، لَوْ لَمْ يَكُنْ نَبِيّاً، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ جِبْريلُ يَتَنَزَّلُ عَلَيْهِ بِالْهُدى وَالنّورِ وَالرَّحْمَةِ مِنْ خالِقِهِ وَخالِقِ الكَوْنِ.

وَعادَ يُكْمِلُ مَسيرَتَهُ وَحَياتَهُ وَجِهادَهُ الَّذي قَرَّرَ أَنْ يُضَحِّيَ في سَبيلِهِ بِكُلِّ ما لَهُ في هذهِ الْحَياةِ.

وَازْدادَتْ هُمومُ النَّبِيِّ (ص) مَعَ ازْدِيادِ عِنادِ الْمُشْرِكينَ، حَيْثُ راحَ يَتَجَوَّلُ في الْمَناطِقِ الْقَريبَةِ مِنْ مَكَّةَ وَالْبَعيدَةِ عَنْها، لِيَلْتَقِيَ النّاسَ وَيَدْعُوَهُمْ إِلى الْهُدى وَالإِسْلامِ. فَما كانَ يَرْجِعُ مِنْ جَوْلاتِهِ تِلْكَ إِلاَّ وَالدِّماءُ تَسيلُ مِنْهُ وَمِن ابْنِ عَمِّهِ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ (ع) الَّذي لَمْ يَكُنْ لِيَتْرُكَ النَّبِيَّ (ص) يُواجِهُ كُفّارَ قَوْمِهِ وَحيداً.



مِنْ ضِمْنِ هذهِ الْجَوْلاتِ الَّتي قامَ بِها النَّبِيُّ (ص) في الْمَناطِقِ الْمُجاوِرَةِ لِمَكَّةَ كانَتْ جَوْلَتُهُ في الطّائِفِ، الَّتي عادَ مِنْها دامِيَ الْقَدَمَيْنِ، دامِعَ الْعَيْنَيْنِ، لِيَجِدَ قَوْمَهُ في مَكَّةَ يُحَضِّرونَ لَهُ أذىً مُخْتَلِفاً، وَشَقاءً مِنْ لَوْنٍ آخَرَ...

وَلَمْ يُبالِ النَّبِيُّ (ص) بِكُلِّ ما كانوا يَصْنَعونَهُ، بَلِ اسْتَمَرَّ في جِهادِهِ، يُواجِهُ عَمَّهُ أَبا لَهَبٍ وَزَوْجَتَهُ أُمَّ جَميلٍ بِصَبْرٍ عَظيمٍ مُكَمِّلاً الْمَهَمَّةَ الَّتي خَصَّهُ بِها اللهُ تَعالى دونَ الْبَشَرِ جَميعاً.

وَلَمْ يُقَصِّرِ النَّبِيُّ (ص) في لِقاءِ الْوُفودِ الْقادِمَةِ إِلى مَكَّةَ، وَعَرَضَ الإسْلامَ عَلى أَفْرادِها فَمِنْهُمْ مَنْ كانَ يُؤْمِنُ. وَكانَ مِنْ بَيْنِ أولئِكَ الَّذينَ آمَنوا سِتَّةُ أَنْفارٍ مِنْ بَني عَفْراءَ. هَؤُلاءِ نَقَلوا الإِسْلامَ إِلى غَيْرِهِمْ مِنَ النّاسِ في الْمَدينَةِ، ما جَعَلَ وَفْداً مِنَ الأَنْصارِ يَأْتونَ النَّبِيَّ (ص) وَيُبايِعونَهُ.

وَكَذلِكَ حَدَثَ في الْعامِ اللاّحِقِ، ما جَعَلَ الإِسْلامَ يَنْتَقِلُ إِلى الْمَدينةِ وَيَنْتَشِرُ في تِلْكَ الْفَتْرَةِ مِنَ الزَّمانِ أَيَّدَ اللهُ سُبْحانَهُ





النَّبِيَّ مُحَمَّداً بِمُعْجِزَةٍ لَمْ يَسْبِقْ أَنْ نالَها نَبِيٌّ. فَبَيْنَما كانَ النَّبِيُّ (ص) في مَكَّةَ، قَدَّرَ اللهُ تعالى لَهُ أَنْ يَمْتَطِيَ راحِلَةً اسْمُها «البُراقُ» وَلَعَلَّها تُشْبِهُ الْحِصانَ الْمُجَنَّحَ، وَقَدْ أَسْرى اللهُ سُبْحانَهُ بِنَبِيِّهِ الْمُصْطَفى عَلى هذِهِ الرّاحِلَةِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ في مَكَّةَ الْمُكَرَّمَةِ إِلى الْمَسْجِدِ الأَقْصى حَيْثُ الْقُدْسُ الشَّريفَةُ، ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلى السَّماءِ لِيَرى مِنْ آياتِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ ما يَدُلُّ الْبَشَرَ عَلى عَظَمَةِ اللهِ سُبْحانَهُ، وَصِدْقِ ما أَنْزَلَهُ عَلى النَّبِيِّ الأَكْرَمِ (ص). بَعْدَ ذلِكَ عادَ البُراقُ بِالنَّبِيِّ (ص) إِلى مَكَّةَ لِيَقُصَّ عَلى أَهْلِهِ وَأَقارِبِهِ وَقَوْمِهِ جَميعاً ما سَمِعَهُ وَشاهَدَهُ في تِلْكَ الرِّحْلَةِ الَّتي سُمِّيَتْ بِالإِسْراءِ وَالْمِعْراجِ.

وَمَهْما كانَ ما قَدَّمَهُ مُحَمَّدٌ (ص) إِلى قَوْمِهِ مِنْ دَلائِلَ عَلى النُّبُوَّةِ، وَشَواهِدَ تُؤَيِّدُ دَعْوَتَهُ، فَإِنَّ أَصْحابَ الْقُلوبِ الْقاسِيَةِ، أولئِكَ الّذينَ قَرَّروا أَنْ يَسُدّوا أَسْماعَهُمْ وَيُغْلِقوا عُيونَهُمْ عَنِ الْهِدايَةِ، لَمْ يَسْتَجيبوا لِدَعْوَتِهِ وَاسْتَمَرُّوا يُحارِبونَهُ وَيُضَيِّقونَ عَلَيْهِ الدُّروبَ.



وَشاءَ اللهُ سُبْحانَهُ أنْ يَشْتَدَّ عُودُ الإسْلامِ في الْمَدينَةِ الْمُنَوَّرَةِ، فَأَنْزَلَ عَلى النَّبِيِّ (ص) الأَمْرَ بِالْهِجْرَةِ إِلَيْها، حَيْثُ سَيَحِلُّ لَهُ الْجِهادُ وَالْقِتالُ مِنْ أَجْلِ إِعْلاءِ رايَةِ الإِسْلامِ.

وما أَنْ أَمَرَهُ اللهُ سُبْحانَهُ بِالْهِجْرَةِ حَتّى أَمَرَ النَّبِيُّ (ص) أَصْحابَهُ بِالْبَدْءِ بِها مُتَسَلِّلينَ تَحْتَ جَناحِ الظَّلامِ.

وَعَلِمَ كُفّارُ قُرَيْش بِذلِكَ، فَأَسْرَعوا يُحاوِلونَ مَنْعَ الْمُهاجِرينَ ما أَمْكَنَهُمْ ذلِكَ وَتَعْذيبَ مَن اسْتَطاعوا الْوُصولَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ. أَمّا الْواصِلونَ إِلى الْمَدينَةِ فَكانَ الأَنْصارُ يَسْتَقْبِلونَهُمْ بِالْبِشْرِ وَالتِّرْحابِ، حَتّى لَمْ يَبْقَ في مَكَّةَ إِلاّ مُحَمَّدٌ (ص) وَعَلِيُّ بْنُ أَبي طالِبٍ (ع) وَأَبو بَكْرِ بْنُ أَبي قُحافَةَ.

وَاسْتَعَدَّ كُفّارُ قُرَيْش لِلإيقاعِ بِمُحَمَّدٍ (ص)، بَعْدَ أَنْ سَبَقَهُ أَصْحابُهُ إِلى الْمَدينَةِ، وَأَرادوا قَتْلَهُ، فَأَمَرَهُ اللهُ سُبْحانَهُ بِالْخُروجِ إِلى الْمَدينَةِ لَيْلاً وَبِأَنْ يَأْمُرَ عَلِيَّ بْنَ أَبي طالِبٍ (ع) بِالْمَبيتِ عَلى فِراشِهِ مُتَّشِحاً بِبُرْدِهِ الْحَضْرَمِيِّ كَيْ يُضَيِّعَ عَلى الْمُشْرِكينَ ما نَوَوْا فِعْلَهُ.



وَلَمْ يَتَرَدَّدْ عَلِيٌّ (ع) وَهُوَ يَسْأَلُ النَّبِيَّ (ص): «أَوَتَسْلَمُ يا رَسولَ اللهِ؟» فَقالَ النَّبِيُّ (ص): «نَعَمْ بِذلِكَ وَعَدَني رَبّي!».

فَأَسْرَعَ عَلِيٌّ (ع) مُطْمَئِنَّ الْقَلْبِ وَالْفُؤادِ، وَاضْطَجَعَ في فِراشِ النَّبِيِّ (ص) لِيَسْتَقْبِلَ الْمُشْرِكينَ فيما مَضى النَّبِيُّ (ص) وَمَعَهُ أَبو بَكْرِ بْنُ أَبي قُحافَةَ نَحْوَ الْمَدينَةِ.

وَظَلَّ الْمُشْرِكونَ يُراقِبونَ فِراشَ النَّبِيِّ (ص) وَعَلِيٌّ (ع) نائِمٌ فيهِ. وَمَعَهُمْ مَجْموعَةٌ مِنْ فَوارِسِ قُرَيْشٍ، مِنْ كُلِّ قَبيلَةٍ فارِسٌ، حَتّى إِذا قَتَلوا مُحَمَّداً (ص) ضاعَ دَمُهُ بَيْنَ القَبائِلِ، وَتَعَذَّرَ عَلى الْهاشِمِيِّينَ أَنْ يُطالِبوا بِثَأْرِهِ.

وَفي الثُّلْثِ الأَخيرِ مِنَ اللَّيْلِ قَرَّروا الْهُجومَ بِالسُّيوفِ، وَعَلى رَأْسِهِمْ خالِدُ بْنُ الوَليدِ، فَوَثَبَ عَلِيٌّ (ع) في وُجوهِهِمْ، وَأَخَذَ السَّيْفَ مِنْ يَدِ خالِدٍ ثُمَّ أَسْرَعَ يَشُدُّ عَلى الْقَوْمِ، الَّذينَ راحوا يَرْكُضونَ أَمامَهُ خائِفينَ مُرْتَعِدينَ بَعْدَ أَنْ عَرَفوا أَنَّ النّائِمَ لَمْ يَكُنْ سِوى عَلِيٍّ (ع).



أَمّا النَّبِيُّ (ص) فَقَدِ اسْتَمَرَّ يَحُثُّ خُطاهُ وَمَعَهُ أَبو بَكْرٍ الّذي كانَ يَبْكي وَيَرْتَعِشُ خائِفاً، فيما النَّبِيُّ (ص) يُهَدِّئُ مِنْ رَوْعِهِ قائِلاً لَهُ: «لا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنا».

ثُمَّ دَخَلَ النَّبِيُّ (ص) وَمَعَهُ أَبو بَكْرٍ إِلى غارٍ يُدْعى غارَ ثَوْرٍ، وَقَدْ عادَ الْمُشْرِكونَ إِلى مُلاحَقَتِهِ بَعْدَ أَنْ وَجَدوا عَلِيّاً يَنامُ في فِراشِهِ.

في ذلِكَ الْغارِ تَوارى النَّبِيُّ (ص) وَمَعَهُ صاحِبُهُ أَبو بَكْرٍ، فَأَوْحى اللهُ سُبْحانَهُ إِلى حَشَرَةِ عَنْكَبوتٍ صَغيرَةٍ أَنْ تَنْسُجَ عَلى بابِ الْغارِ خُيوطَها، وَأَرْسَلَ حَمامَتَيْنِ بَرِّيَّتَيْنِ.

وَحينَ وَصَلَ الْمُشْرِكونَ إِلى بابِ الْغارِ بَعْدَ أَنْ تَبِعوا أَثَرَ النَّبِيِّ (ص)، وَجَدوا الْعَنْكَبوتَ وَالْحَمامَتَيْنِ، فَفَكَّروا بِأَنَّ الْعَنْكَبوتَ وَالْحَمامَتَيْنِ دَليلانِ عَلى أَنْ لا أَحَدَ في الْغارِ، وَإِلاّ لَتَمَزَّقَتْ خُيوطُ الْعَنْكَبوتِ، وَلَفَرَّتِ الْحَمامَتانِ.



وَتابَعَ النَّبِيُّ (ص) مَسيرَتَهُ نحْوَ الْمَدينَةِ، بَعْدَ أَنْ أَوْصى عَلِيّاً(ع) بِأداءِ ما في ذِمَّتِهِ مِنْ أَماناتٍ إِلى أَصْحابِها، ثُمَّ يَلْحَقُ بِهِ وَمَعَهُ ابْنَتُهُ فاطِمَةُ (ع) وَغَيْرُها مِنَ النِّسْوَةِ إِلى الْمَدينَةِ الْمُنَوَّرَةِ.

وَأَسْرَعَ عَلِيٌّ (ع)، يُؤَدّي أَماناتِ النَّبِيِّ (ص) إِلى أَصْحابِها، ثُمَّ يَسيرُ بِالنِّسْوَةِ وَهُنَّ الْفَواطِمُ: فاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ (ص) وَفاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدٍ أُمُّ عَلِيٍّ (ع) وَفاطِمَةُ بِنْتُ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَفاطِمَةُ بِنْتُ حَمْزَةَ. وَقَدْ تَبِعَتْهُنَّ أُمُّ أَيْمَنَ مَوْلى النَّبِيِّ(ص) وَأَبو واقِدٍ اللَّيْثِيِّ الَّذي كانَ يَسوقُ رَواحِلَ النِّسْوَةِ.

وَخِلالَ الْمَسيرَةِ نحْوَ الْمَدينَةِ تَعَرَّضَ لِقافِلَةِ عَلِيٍّ (ع) بَعْضُ مُشْرِكي قُرَيْشٍ، فَلاقوا مِنْ سَيْفِهِ ما أَرْغَمَهُمْ عَلى الْهُروبِ وَالنَّجاةِ بِمَنْ بَقِيَ مِنْهُمْ بَعْدَ أَنْ رَأَوْا مِنْ شَجاعَتِهِ ما يُرْعِبُ الْقُلوبَ.

وَانْتَظَرَ النَّبِيُّ (ص) وُصولَ عَلِيٍّ (ع) إِلى الْمَدينَةِ لِيَدْخُلَها





مَعَهُ، وَما أَنْ رَآهُ، حَتّى احْتَضَنَهُ باكِياً، وَقَدْ رَأى قَدَماهُ وَالدِّماءُ تَسيلُ مِنْهُما لِمَشَقَّةِ الْمَسيرِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدينَةِ، فَتَفِلَ النَّبِيُّ (ص) في يَدَيْهِ، وَأَمَرَّهُما عَلى قَدَمَيْ عَلِيٍّ (ع)، لِتَشْفيا مِمّا بِهِما مِنْ أَلَمٍ.

في الْمَدينَةِ أَقامَ النَّبِيُّ (ص) بَعْدَ أَنِ الْتَقاهُ أَهْلُها بِفَرْحَةٍ ما بَعْدَها فَرْحَةٌ، وَاجْتَمَعَ أَهْلُها حَوْلَها يَأْتَمِرونَ بِأَمْرِهِ، وَيَسْتَمِعونَ إِلى قَوْلِهِ بِاحْتِرامٍ وَإِجْلالٍ.

وَتَزَوَّجَ النَّبِيُّ (ص) أُولى زَوْجاتِهِ بَعْدَ وَفاةِ خَديجَةَ (ع) وَهِيَ زَمْعَةُ بِنْتُ الأَسْوَدِ. وَبَنى مَسْجِداً لِيُصَلّيَ فيهِ بِالنّاسِ وَيَخْطِبَ فيهِمْ، فَيُعَلِّمُهُمْ وَيَهْديهِمْ وَيُنَوِّرُ قُلوبَهُمْ.

ثُمَّ انْتَقَلَ النَّبِيُّ (ص) إِلى تَجْرِبَةٍ جَديدَةٍ لَمْ يَعْرِفْها الْمُسْلِمونَ مِنْ قَبْلُ، أَلا وَهِيَ الْمُؤاخاةُ بَيْنَ الْمُهاجِرينَ الَّذينَ هاجَروا مَعَ مُحَمَّدٍ (ص) وَالأَنْصارِ الَّذينَ فَتَحوا بُيوتَهُمْ لِلْمُسْلِمينَ وَاحْتَضَنوا الرِّسالَةَ خَيْرَ احْتِضانٍ!.





وَفي كُلِّ مَرَّةٍ كانَ النَّبيُّ (ص) يُؤاخي بَيْنَ الْمُسْلِمينَ، كانَ يُؤاخي بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَلِيِّ بْنِ أَبي طالِبٍ ابْنِ عَمِّهِ (ع).

بَعْدَ ذلِكَ عَلَّمَ النَّبيُّ (ص) الْمُسْلِمينَ الأَذانَ لإِعْلامِهِمْ بِمَواقيتِ الصَّلاةِ، وَانْصَرَفَ إِلى إِدارَةِ شُؤونِ الدَّوْلَةِ الإِسْلامِيَّةِ الَّتي أُقيمَتْ لِلْمَرَّةِ الأُولى مِنْ دونِ أَنْ يَغْفَلَ عَمّا كانَ يَتَرَبَّصُ بالْمُسْلِمينَ مِنْ أَعْداءٍ وَحاقِدينَ. وَعَلى رَأْسِهِمُ الْيَهودُ.

بَعْدَ مُرورِ سَبْعَةِ أَشْهُرٍ مِنْ وَصولِ النَّبيِّ (ص) إِلى الْمَدينَةِ أَمَرَ اللهُ سُبْحانَهُ بِتَحْويلِ قِبْلَةِ صَلاةِ الْمُسْلِمينَ مِنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلى بَيْتِ اللهِ الْحَرامِ، وَبَدَأَ بِذلِكَ عَهْدٌ جَديدٌ مِنَ الإِسْلامِ، حَيْثُ قَوِيَ بِأَتْباعِهِ وَالْمُؤْمِنينَ الَّذينَ راحَتْ أَعْدادُهُمْ تَتَزايَدُ، وَراحَ يَدْخُلُ الإِسْلامَ أَسْماءٌ كانَ لَها فيما بَعْدُ دَوْرٌ إيجابِيٌّ مُؤَثِّرٌ في الانْتِصاراتِ وَالْفُتوحاتِ.

وَراحَ النَّبيُّ (ص) يَتَأَهَّبُ بِهذِهِ السَّواعِدِ وَالْقُلوبِ، لِلْمَهَمَّةِ





الأَصْعَبِ، فَالْمُشْرِكونَ يَتَرَبَّصونَ بِالْمُسْلِمينَ، وَالْيَهُودُ يَحْبكونَ حَوْلَهُمْ مُؤامَراتِهِمْ.

وَكانَتْ أُولى الْمُناوَشاتِ بَيْنَ الْمُسْلِمينَ وَالكُفّارِ دَليلاً عَلى أَنَّ أَتْباعَ مُحَمَّدٍ (ص) مِنَ الْمُسْلِمينَ باتوا جاهِزين لِتَحَمُّلِ مَسْؤولِيّاتِ بِناءِ الأُمَّةِ، وَبَسْطِ امْتِدادِها في أَنْحاءِ الأَرْضِ.

وَكانَ سَيْفُ عَلِيٍّ (ع) أَقْوى سُيوفِ الْمُسْلِمينَ في تاريخِ حُروبِ الإِسْلامِ وَقَدِ ازْدادَ قُرْباً مِنَ النَّبِيِّ (ص) بَعْدَ أَنْ زَوَّجَهُ ابْنَتَهُ الصُّغْرى فاطِمَةَ (ع) سَيِّدَةَ نِساءِ الْعالَمينَ، الَّتي لَمْ يَجِدْ لَها النَّبِيُّ (ص) عَلى الأَرْضِ كُفْئاً إلاّ عَلِيّاً (ع) وَبِذا رَبَط بَيْنَ النَّبِيِّ (ص) وَعَلِيٍّ (ع) إِلى قَرابَةِ الدَّمِ نَسْلٌ طاهِرٌ مُطَهَّرٌ طَيِّبٌ أَنْجَبَتْهُ فاطِمَةُ (ع) مِنْ عَلِيٍّ (ع)، مِنهُ الإمامانِ الحَسَنُ وَالحُسَينُ (ع) سَيِّدا شَبابِ أَهْلِ الجَنَّةِ.

وَقَدْ كانَ هذا الزَّواجُ فاتِحَةَ عَهْدِ انْتِصاراتِ الْمُسلِمينَ التي بَدَأَتْ في مَوقِعَةِ بَدْرٍ الكُبرى يَومَ انْتَصَرَ عَدَدٌ قَليلٌ مِنَ المُسلِمينَ عَلى جَيْشٍ عَظيمٍ مِنَ المُشرِكينَ بِفَضلِ شَجاعَةِ عَلِيٍّ



وَعَمِّه الحَمزَة، وَغيرهِما مِنَ المُؤمنِينَ الذينَ أوقعوا قُرَيشاً في هَزائِمَ وَوَيْلاتٍ جَعَلتْ حِقدَ المُشْركينَ يَتَعاظَمُ وَيتجلّى في المَوقِعَةِ التالِيَةِ عِندَ جَبَلِ أُحُدٍ، يَوْمَ تَمَكَّنَتْ هِندُ زَوجَةُ أَبي سُفيانَ مِنْ دَفْعِ أَحَدِ عَبيدِها لِقَتْلِ حَمزَةَ عَمِّ النَّبِيِّ (ص) وَالتَّمْثيل بِجُثَّتِهِ الشَّريفَةِ.

وكانَتْ مَوقِعَةُ أُحُدٍ دَرْساً عظيماً وَمُؤلماً لِلمُؤمنينَ، عَرَفوا فيهِ نَتيجَةَ مُخالَفَةِ أَمْرِ النَّبيِّ (ص)، وَالخُروجِ عَلى تَوجيهاتِهِ، فَانهزَموا لِيَتعلّموا أَنْ لا يُخالِفوا لِنَبيِّهِمْ أَمراً فيما بَعْدُ. وَهذا ما جَعَلَ الغَزَواتِ وَالمَوْقِعاتِ اللاحِقَةَ تَضْمَنُ الانْتِصاراتِ لَهُمْ، سِيّما أَنَّ عَلِيّاً (ع) كانَ يَتَوَلّى إدارَةَ تِلْكَ الْمَعارِكِ في أَصْعَبِ مَراحِلِها. وقَدِ اسْتَفادَ الإسْلامُ كَذلِكَ مِنْ أَصْحابِ النَّبيِّ الْمُخلِصينَ في مِثلِ هذهِ المَواقِفِ الهامَّةِ وَالحَرِجَةِ، مِنْ هؤُلاءِ سَلْمانُ الفارِسِيُّ الّذي قَدَّمَ لِلمُسلمينَ فِكْرَةً ساهَمَتْ في انتصارِهِم يَوْمَ غَزَوَةِ الخَنْدَقِ، وذلكَ بِحَفْرِ خَنْدَقٍ عَظيمٍ يُحيطُ بِالمَدينَةِ وَيَمْنَعُ المُشْرِكِينَ مِنَ الوُصولِ إِلى أَهْلِها.

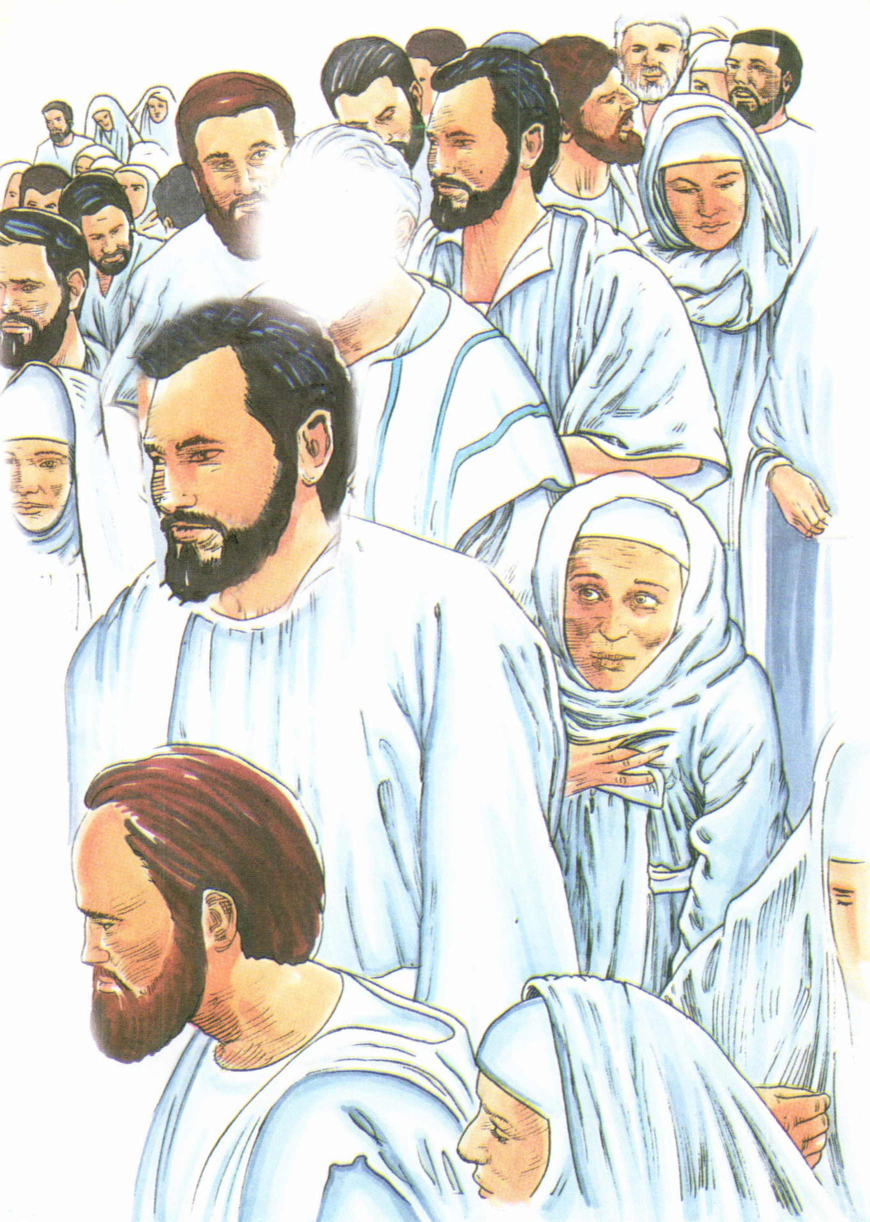


وَبذلِكَ انْتَهَتْ هذهِ المَوْقِعَةُ بانتِصارِ المُسْلمينَ.

أَمَّا الْيَهودُ فلَهُمْ شَأْنٌ آخرُ، أولئِكَ الَّذينَ ظَلّوا يُثيرونَ الأَحْقادَ وَيُشْعِلونَ الْفِتَنَ، حَتّى طَهّرَ النَّبيُّ (ص) المَدينَةَ مِنْهُم، وَهزَمَهُم في غَزْوَةِ خَيْبَرَ وَمَعَهُ عَليٌّ (ع) الَّذي قلَعَ بِيَدِهِ وَحْدَهُ بَابَ الحِصْنِ الَّذي الْتَجَأوا إِلَيهِ.

وَظَلَّتِ انْتِصاراتُ الْمُسْلمينَ تَتَوالى، وَمُحَمَّدٌ (ص) يَتوقُ إلى فَتْحِ مَكَّةَ حَيْثُ وُلِدَ، وَنَشَأَ، وَحَيثُ عَرفَ خَديجَةَ (ع) وَعاشَ مَعَ أَبي طالِبٍ عَمِّهِ وَحَيْثُ ذِكرياتُ جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَهُوَ ما زالَ يَخْشى عَلى قَوْمِهِ هُناكَ مِنْ أَنْ يَظَلّوا على شِرْكِهِمْ، وَقَدْ آنَ الأَوانُ لِفَتْحِ مَكّةَ وَالظُّروفُ تَغَيَّرتْ، فَالإسلامُ عَزَّ، وَأَتْباعُهُ كَثيرونَ.

وَانْطَلَقَ المُسْلِمونَ في عَشْرَةِ آلافِ مُقاتِلٍ مِنَ المُهاجِرينَ والأَنْصارِ، وَأَلْفِ فَرَسٍ، وَثَلاثَةِ أَلْوِيَةٍ لِلْمُسْلِمينَ، حَمَلَ عَلِيٌّ(ع) واحِداً مِنْها وَالزُّبَيْرُ حَمَلَ واحِداً وَسَعْدُ بْنُ أَبي وَقّاصٍ حَمَلَ الثّالِثَ.



وَلمّا وَصَلَ جَيْشُ مُحَمَّدٍ (ص) إلى مَكَّةَ اسْتَسْلَمَ أَكْثَرُ أهْلِها، وقاوَمَ القَليلونَ، فانْتَصَرَ جَيشُ مُحَمَّدٍ (ص) وَعادَ إلى الكَعبةِ الشَّريفَةِ بَعدَ غِيابٍ طَويلٍ يَسجُدُ شُكراً للهِ تَعالى.

تَعاقَبَتْ بَعدَ ذلِكَ غَزواتُ المُسلِمينَ، الَّتي اسْتَمَرَّتْ تُضيفُ كُلَّ يَومٍ إلى الإسْلامِ فَتحاً جَديداً. وَعادَ النَّبِيُ(ص) إلى المَدينَةِ المُنَوّرَةِ يُكْمِلُ بِناءَ دَولَةِ المُسلِمينَ، بَعدَ أَنْ وَصَلَتْ أَنْوارُ الإسْلامِ إلى أَنحاءِ الأَرْضِ تَنْشُرُ الهِدايَةَ في كُلِّ مَكانٍ.

وَمَضَتِ الأَيّامُ حَتّى أَكْمَلَ اللهُ سُبحانَهُ الرِّسالَةَ، وَخَرَجَ النَّبِيُّ (ص) بِالمُسلمينَ في حَجِّ الوَداعِ، وَمَعَهُ وُفودٌ لا حَصْرَ لها مِنَ المُسلمينَ.

وفي طَريقِ عَودَةِ النَّبِيِّ (ص) إلى مكَّةَ، أنزَلَ اللهُ سُبحانَهُ علَيهِ الوَحيَ بِقَولِهِ تعالى: ﴿ يا أَيُّها النَّبيُّ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ إليكَ مِنْ رَبِّكَ وإنْ لَمْ تَفعَلْ فَما بَلَّغتَ رِسالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ ﴾.

